النقود في الجاهلية وصدر الاسلام

لم يكن للعرب في جاهليتهم نقود خاصة يتعاملون بها في بيعهم وشرائهم بل كانوا يتداولون نقود الممالك القريبة منهم ويسيرون عليها في علاقاتهم التجارية فكان المجاورون منهم لبلاد الشام مثلاً يتعاملون بالدنانير الرومانية ويسمونها رومية وكان النازلون منهم باطراف العراق يتداولون نقود الدولة الفارسية ويسمونها الدراهم الكسروية واما متدبرو الاراضي القريبة من حدود اليمن فكانت النقود الحميرية اساس بيعهم وشرائهم واخذهم وعطائهم . ولا ترى بدًّا من التنويه هنا بان الدراهم الكسروية والنقود الرومانية كانت اكثر شيوعاً وتداولاً في جزيرة العرب من سواها بسبب كثرة الاتصال وتبادل العلاقات التجارية

وقد ظل الامر على هذا المنوال في السنين الاولى لانتشار الدعوة الاسلامية فقد مضى صاحبها الحربه من دون ان يحدث حدثاً في نظامها المعروف بالجاهلية ويمكننا الاستدلال من حديث شريف يروى عن ابي هريرة على حالة المقاييس والنقود التي كان يتداولها سكان الاراضي المجاورة للحجاز اذ اشار فيه الى درهم العراق وقفيزه ومد الشام ودنانيرها واردب مصر ودينارها فدل بذلك على ان المسلمين لم يضعوا في اوائل حكمهم نظاماً خاصًّا للنقد. وتوفي الخليفة الاول ابو بكر الصديق دون ان يحدث تغييراً في نظامها القديم وكل ما فعلهُ هو انهُ كان يعول في قبض وصرف اموال بيت المسلمين على مقياس خاص اختارهُ للعمل

وادرك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد فتح العراق والقضاء على دولة الساسانيين العناء الذي يلاقيه المسلمون بسبب الدراهم الفارسية التي كانت على ثلاثة انواع (ذات ٢٠ قراريط و١٢ قيراطاً و٢٠ قيراطاً) وذلك لان اختلاف اوزانها ادى الى عدم الانتظام المطلوب في استيفاء اموال الزكاة فرأى ان يضرب هذه الدراهم الثلاثة بعضها ببعض ويمزجها ثم يخرج للناس درهماً زنته ١٤ قيراطاً فكان هذا الدرهم العمري أول نقد ضرب في الاسلام . ويطلق المؤرخون عليهِ اسم « الدينار العزيز » وكانوا يعتبرون كل عشرة دراهم من هذه بسبعة مثاقيل ويسمونها وزن السبعة (اي سبعة المثاقيل)

ولم يدخل الفلروق تعديلا كبيراً على الدرهم الجديد بل ابقى شكلهُ ونقشهُ وخطهُ

البهلوي كما كان واحتفظ برسم الهلال والكوكب الذي كان الفرس القدماء يحسبونهُ من علامات السعد ويتفاءلون بهِ. واكتفى بان نقش على وجههِ سنة ضربهِ بالتاريخ الهجري وكتب على دائرتهِ « بسم الله » او « بسم الله ربي » او « الحمد لله » او « بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » بالحرف الكوفي

واقتفى اثره الخليفة عثمان بن عفان وسار على طريقتهِ فظلت الدراهم تسك طبقاً للشكل الذي اختير لها. وقلدهما الامام علي ابن ابي طالب ايضاً . فظل الحال — في الدراهم — على هذا المنوال سحابة عصر الخلفاء الراشدين

وتشأت الدولة الاموية سنة ٤١ في الشام فاسر معاوية بان يستمر في ضرب الدراهم على طريقة الخلفاء فسك منها مقداراً في سنتي ٤٣ و٤٧ . وفي سنة ٥١ هـ استقبل الدرهم عهداً جديداً وذلك أن ولاة المشرق وامراءهُ كتبوا الى الخليفة يستأذنونهُ في حذف النقوش الكسروية المنقوشة على الدراهم وان يضعوا في مكانها اسماء امراء المسلمين فاذن لهم في ذلك فكتبوا اسماءهم ولكن بالخط البهلوي ثم ابدل بالكوفي

ولما ولي الامر الخليفة الاموي الخامس (عبد الملك بن مروان) امر بان يكتب اسمهُ على الدراهم فكتبوا عليها لاول مرة بالخط البهلوي « عبد الملك امير المؤمنين » واحتفظوا بالكلمات الاخرى التي كانوا ينقشونها على كنار الدرهم وهي « بسم الله ربي »

وبين المؤرخين الاسلاميين خلاف في وصف الدراهم التي سكها الحجاج في زمن ولايتهِ على العراق وتناقض ظاهر في رواياتهم عنها فقد زعم بعضهم انهُ امر بان يكتب عليها « احمد الله الصمد » او « بسم الله » وان يضاف عليها اسمهُ وان العراقيين كانوا يسمون هذه الدراهم بالبغلية ولم يقم حتى الآن دليل علمي يؤيد هذه الرواية التي لا يجزم ثقات علماء الآثار الاسلامية من الاوربيين بصحتها

ويقول ابن خلدون في تاريخهِ والمقريزي في خططهِ ان عبدالله ابن الزبير اول من ضرب النقود المستديرة في الاسلام وذلك انهُ عند ما استقل بمكة استبدل الدراهم الفارسية بنقود مستديرة ضربها في عاصمتهِ وكتب على احد وجهيها « محمد رسول الله » وكتب على الوجه الثاني « امر الله بالوفاء والعدل » ويقال انهُ لما ولى اخاهُ مصعباً العراق منحهُ حق ضرب النقود فاخرج نقوداً كتب على الوجه الاول منها كلمة « الله »

وعلى الثاني « بركة » ولم يرد في اقوال العلماء المتأخرين ما يؤيد هذه الرواية التي يفهم منها ان ابن الزبير سك نقوداً ذات طراز جديد . غير ان احد علماء الآثار الفرنسويين عثر على درهم كتب عليه بالقلم البهلوي « عبد الله امير المؤمنين » وكتب على كتارة بالكوفي « بسم الله ربي » وهو مضروب في سنة ٦٢ وكذلك عثر المسيو اسثيكل والمز هرتمان على نقود من هذا النوع ضربت في العراق سنة ٦٠ و ٦١ هـ . واما دراهم مصعب بن الزبير فقد عثر الاستاذ تيزن هاوزن على درهم منها ضرب في سنة ٧١ كتب عليه كلمة « بسم الله » لا كلمة « الله . بركة » كما يقول المؤرخون القدماء وشكله كبقية النقود الفارسية الاخرى التي كانت معروفة في ذلك الزمن

***

هذا مجمل ما يقال عن الدراهم الكسروية ولم يكن العرب في صدر دولتهم يعرفون من النقود الذهبية سوى الدينار الروماني الذي كانوا يسمونهُ « هرقلية » . ولما فتح المسلمون سورية في زمن الخليفة الثاني تركوا الدنانير كما هي وابقوا التعامل بها على حالها واكتفوا باضافة كلمة عربية على احد وجهيها للدلالة على سيادتهم وظلوا يكتبونها حتى السنة السبعين للهجرة ولم يعثر رجال العلم مع شدة بحثهم وعنايتهم الاَّ على عدد لا يكاد يذكر من هذه الدنانير « المشتركة » التي صارت في حكم النادر . وقد علل ذلك المسيو لاڤوى في كتابهِ « تقويم الدراهم الاسلامية . الخلفاء الشرقيون »[1] بانهُ ربما كان عبد الملك امر باذابة الموجود منها وسكّ طبقاً للطريقة الجديدة التي اختارها حينما امر بتحويل الدنانير الرومانية الى عربية سنة ٧٧ هـ

وهنالك ايضاً النقود النحاسية التي كان العرب يسمونها « فلساً » وهي من النقود الرومانية ايضاً . وقد سكها المسلمون ايضاً بالاشتراك بعد فتح الشام . وفي دور الاثار عدد كبير من هذه النقود بعكس الدنانير الذهبية التي لا يوجد منها ما يتجاوز اصابع اليد الواحدة عدًّا والمعروف منها ثلاثة حتى الآن اثنان في اوربا : احدهما في المتحف الفرنسوي وآخر في مجموعة الكولونل كوتري والثالث في متحف الاستانة وهو من طراز نقود هرقليوس وهرقليوس قسطنطين وهرقله اوناس المشتركة نقشت على وجهه صورة الامبراطرة الثلاثة قائمين وفي يد كل منهم اليمنى وردة .

[1] Catalogue des monnaies musulmanes, Khalifes Orientaux

ونقش في وسط وجهه الثاني عامود قائم على قاعدة ذات اربعة اركان والى يمينه حرف I والى يساره حرف B وكتب في وسط دائرته « بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » ويبلغ وزنهُ ٦ قراريط وقطرهُ ١٩ ملمتراً . وقد علل المستر ستانلي لان بول وجود حرفي I و B بانهُ لمعرفة التاريخ اذ B تدل على اثنين و I على واحد وبذلك يكون الدينار ضرب في سنة ٢١ هـ . ومما يلفت النظر انهُ لم يذكر مكان ضربهِ

ويقسم بعض الباحثين نقود الدولة البيزنطية على عهد الخلفاء الاوائل الى ثلاثة اقسام فالاول ما كان خاصًّا بالروم اقتسموه وقد نقشت عليهِ صور امبراطرتهم وهذا لا علاقة لهُ ببحثنا الحاضر وهو على انواع مختلفة . والثاني ذو طراز خاص بهِ مع احتفاظهِ بشكل النقود الاولى ورسومها والثالث ما ضرب باسم عبد الملك مع احتفاظهِ برسومهِ الاولى

ولعل اول درهم مشترك هو الدرهم الذي ضرب في دمشق سنة ١٧ هـ وقد نقشت عليهِ صورة الامبراطور هرقليوس قائماً وكتب في وسط الوجه الثاني حرف M وعلى جانبيهِ تاريخ الضرب وهو anno = xvii ولم يعثر الباحثون على كلمات عربية في هذه النقود . وهنالك فلس من النقود المشتركة ضرب في حمص سنة ٤٨ وقد رسمت على وجههِ صورة الامبراطور وهو واضع يدهُ اليمنى على صدرهِ وقابض على وردة بشكل صليب والى يمينهِ كلمة حمص وكتب على وجههِ الثاني حرف M والى يمينهِ حروف Emi بشكل عامودي والى يسارهِ حرف C وتحتهُ كلمة طيب بالعربية ويبلغ قطرهُ ١٧ ملمتراً

وعثروا من هذه النقود ايضاً على قطع اخرى سكت في بعلبك كتب عليها اسم مكان ضربها وعليها صور هرقليوس وهرقليوس قسطنطين . وكذلك كتب على النقود النحاسية التي ضربت في عهد قسطنطين كلمة دمشق

وفي خزانة الاستانة من النقود الاسلامية المشتركة درهم من عهد الامام عمر كتب عليهِ بالقلم البهلوي انهُ ضرب في هراة سنة عشرين وفي وسط وجههِ صورة كسرى الثاني وتحتهُ رسم هلال فيهِ نجم وقد كتب على يسارهِ كلتا ام افزود بالقلم البهلوي وكلمة هوسروى (اي كسرى) بالقلم البهلوي ايضاً . وعلى دائرهُ بسم الله بالخط الكوفي وعلى ظهرهِ صورة انسانين متكتفين بينهما مذبح وعلى دائرهِ ثلاثة اهلة

ودرهم ضرب سنة ٢٨ في خلافة عثمان وقد كتب على دائره بالخط الكوفي بسم . . . وعلى ظهره كلمة هرا (ة) بالخط البهلوي وكلمة هشت ويست اي ٢٨

ودرهم ضرب بالبصرة وكتبت كلمة بصرة بالبهلوي بجرا والتاريخ نو ويست اي ٢٩ وكتب على دائره بالكوفي بسم الله ربي

ودرهم ضرب في البيضاء (بيش) في خلافة الامام علي سنة هفت سيه اي ٣٧ وقد كتب عليه بالكوفي بسم الله ربي

ودرهم ضرب في داراً (وبالبهلوى بجرد) سنة ٤٣ في خلافة معاوية ولكنهُ منقوب

ودرهم ضرب في البيضاء سنة ٤٧ في خلافة معاوية

ودرهم ضرب في ولاية زياد بن ابي سفيان في اصطخر سنة ٥١ وقد كتب على وجههِ من الجهة اليمنى بالبهلوي اسم زياد ابن ابي سفيان وعلى دائره باسم الله بالكوفي

ومثلهُ الدرهم المرسوم في الشكل التالي فوق الرقم ٨ وقد كتب عليه بالبهلوي انهُ ضرب في البيضاء ايضاً سنة ٥٢ وكتب على دائرهِ بالكوفي باسم الله ربي

ومثلهُ درهم ضرب في البصرة سنة ٥٣ في ولاية عبيد الله بن زياد وكتب الى يمين وجههِ بالبهلوي اسم اوبيتالابي زياطان (اي عبيد الله بن زياد) وعلى دائرهِ بالكوفي باسم الله

وقد كان عند صاحب الدولة عزت باشا العابد مجموعة كبيرة من النقود الاسلامية وضع لها كتاباً بالتركية والفرنسوية شرح فيهِ كل نقد منها

من ذلك اربعة دراهم ضربت في هراة في عهد الامام عمر سنة ٢٠ وعليها صورة كسرى انو شروان وعليها بالبهلوي كلمة خسرو وبالكوفي بسم الله والحمد لله . واثنان ضربا في خلافة الامام عثمان واثنان في خلافة الامام علي وثلاثة في ولاية معاوية بن ابي سفيان واثنان في ولاية زياد بن ابي سفيان وثلاثة في عهد يزيد بن معاوية ويلي ذلك كثير من المسكوكات الاموية اولها درهم ضرب في البصرة سنة ٧٩ في خلافة عبد الملك بن مروان وعلى وجههِ لا اله الا الله وحدهُ لا شريك لهُ وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة في سنة تسع وسبعين وعلى ظهره الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفؤاً احد وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

والدراهم المرسومة في الصفحة المقابلة مرسومة بقدرها الحقيقي وقد رسم من كلٍّ منها وجههُ وظهرهُ ووضعت تحتها اعدادها في مجموعة النقود السلطانية وهاك ما كتب على كل منها

العدد ٨ على دائر وجههِ بسم الله ربي بالخط الكوفي وفي وسطهِ بالخط البهلوي « ام افزود » واسم « هوسروى » اي كسرى . وعلى ظهرهِ اسم محل ضربهِ بيش (اي البيضا) بالخط البهلوي وتاريخ الضرب دو بنجا (اي ٥٢)

العدد ٣١ على وجههِ كلة ام افزود بالخط البهلوي واسم سليمن بالخط الكوفي وعلى دائر الوجه كلة عبد اي طيب بالخط البهلوي . وعلى ظهرهِ كلة تبورستان بالخط البهلوي وسنة هفت مي ست بالبهلوي اي ١٣٧

العدد ٥٥ فلس نحاس كتب على وجههِ عبد الملك امير المؤمنين وعلى ظهرهِ لا اله الاَّ الله وحدهُ [محمد رسول الله]

العدد ٥٦ دينار ذهب وعلى وجههِ
الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة ثمان وسبعين

وعلى ظهرهِ
لا اله الاَّ
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ومحل ضربهِ لم يذكر

العدد ٨٣ درهم الكتابة على وجههِ كما على الدينار السابق وفيهِ انهُ ضرب بحران سنة سبع وثمنين

العدد ١٦٦ درهم الكتابة على وجههِ

لا اله الا
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

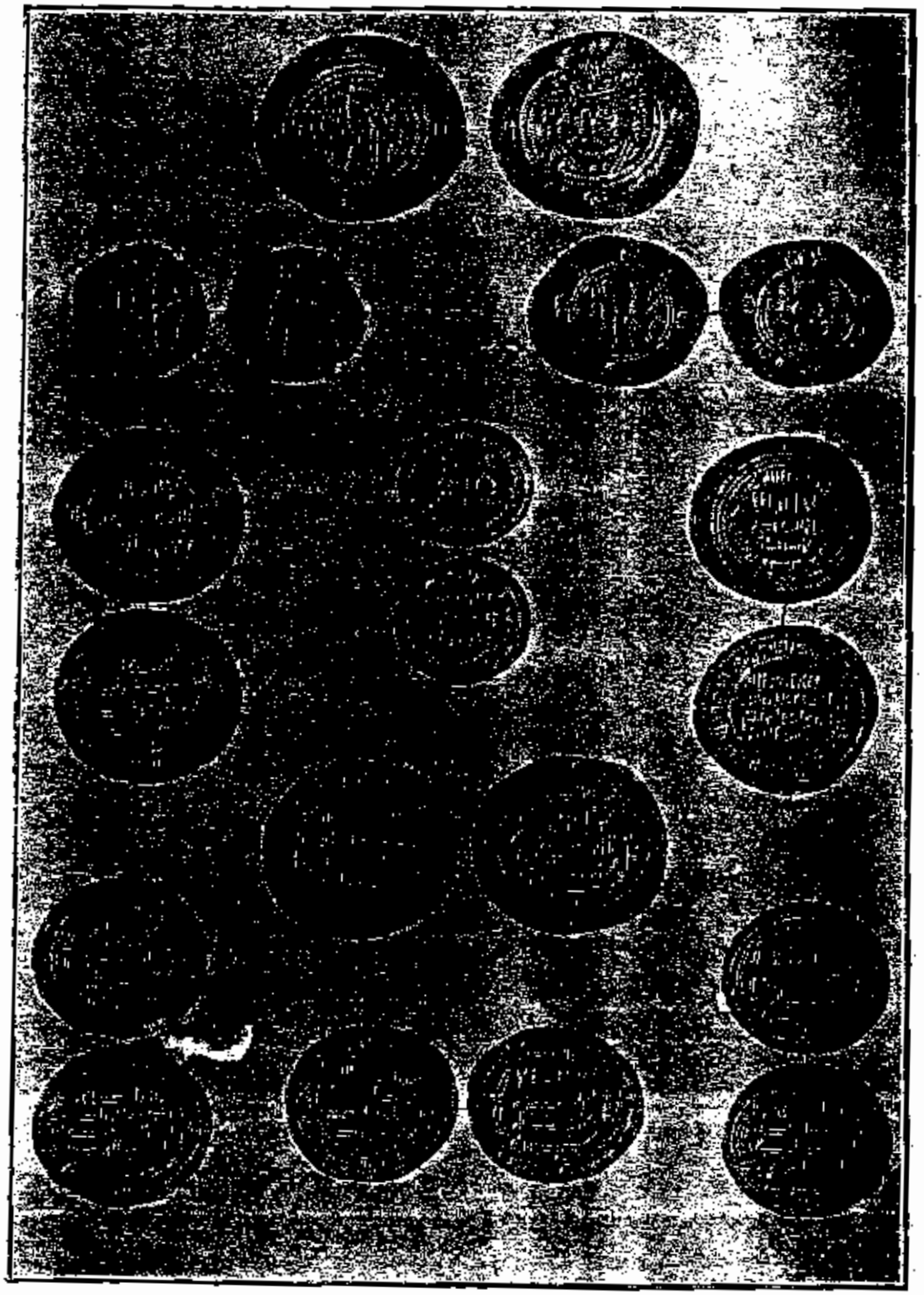

النقود الاسلامية القديمة

مقتطف ابريل ١٩٢٤
امام الصفحة ٤٠٦

وعلى دائر الوجه بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة خمس وعشرين ومية

وعلى ظهره الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
لهُ كفوا احد

وعلى دائرة محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

العدد ١٦٧ مثل السابق ولكنهُ ضرب بالاندلس سنة خمس عشرة ومية

العدد ٢١١ الكتابة على وجههِ لا اله الاَّ
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدرهم بواسط سنة ست وعشرين ومية

وعلى ظهرهِ الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
لهُ كفوا احد

وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون وعناك خمس دوائر صغيرة

العدد ٢١٦ مثل الدرهم السابق ويخالفهُ ان في دائرة وجههِ سبع دوائر صغيرة

العدد ٢٢١ الكتابة عليهِ كالكتابة على الدرهمين السابقين ولكنهُ ضرب بالجزيرة سنة سبع وعشرين ومايةوحول وجههِ خمس دوائر صغيرة

ورعا زدنا هذا الموضوع ايضاحاً في عدد مقبل وتبسطنا في الكلام عن النقود وتاريخها وما طرأ عليها من التبديل في العهدين الاموي والعباسي

امين سعيد